مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٤ ميلادي

عنوان المقال : المحنة ألقت أثقالاً	الكاتب : أم عدنان

دقت الساعة الرابعة فجراً ، وما زالت عينا مؤمنة لم تذوقا طعماً للنوم ، لقد أرقها بكاء ابنها المحموم وارتعاشه بين يديها وهي تضع منديلاً مبتلاً تلو آخر على جبهته الملتهبة ، وتحاول تهدئته ولكن بلا جدوى ..

يا لها من ليلة نابغية أبت إلا أن تجثم على صدرها المحزون لتزيد من أناته !!

- ماذا أفعل يا إلهي ؟ ألهمني يا رب الصواب .. هل أطرق باب الجيران ؟ .. ولكنها تذكرت مقابلة جارتها الجافة لها وقولها :

- اعذريني يا عزيزتي ، إن زوجي لا يسمح لي باستقبالك .. فنحن لا نريد الوقوع في إشكالات لا دخل لنا بها .. وتذكرت ابنتها حين رجعت إليها يوماً باكية وهي تقول :

- يا أمي! لماذا لم يعد أحد من الجيران يحبنا ، ولا يريد أحد من أولادهم اللعب معي ؟ ولماذا ينظر إليَّ جارنا بعينين غاضبتين ويقول لآخرين : جزى الله أباها بما يستحق ، لقد وضع أهل عمارتنا في شبهة نحن في غنى عنها ! ..

انسكبت لدى هذه الذكرى دموع حارة من عينيها .. !

- وهل لمثل زوجي أن يأتي بما فيه شبهة أو اعوجاج ؟ ولو أن عيني والدك تراك باكية لكان أهون عليه أن يُضْرَب ألف مرة ولا يرى علامة حزن مرتسمة على وجهك . فأنت ابنته الأثيرة عنده منذ ولادتك ، فقد كان فرحه وابتهاجه بك لا يوصفان رغم صمت وانزعاج أهله من كونك أنثى ! فقد كانوا يأملون بالذكر ليكون خليفة والده الوحيد لأبويه ، وهو يردد أمامهم إنها وأمها مباركتان فثقافته الدينية تقول : « **إن من يُمن المرأة أن تبكر بجارية** » .

- يا رحمن يا رحيم .. هل أتصل بأهلي ؟ لا لا .. فما من مرة طلبتُ منهم العون إلا وانهال علي أبي بأنشودته المعهودة : " أنتِ جنيت على نفسك .. إنه اختيارك ، لقد حذرناك من هذا الصنف من الرجال ، لن تستطيعي إخراجه من السجن .. " . تذكرتْ يوم تقدم إليها خاطباً بعد أن سمع باستقامتها وحبها للتدين وسرعة تأثرها بكل آية تُقرأ عليها ، وكان عيبها الوحيد سفورها ، وذلك تبعاً لما درجت عليها أسرتها " الأرستقراطية " باعتبار الحجاب نقيصة تخدش المكانة الاجتماعية التي بلغتها .

مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٤ ميلادي

عنوان المقال : المحنة ألقت أثقالاً	الكاتب : أم عدنان

لم يكن غنياً كأبيها وبقية أنسبائه ، فهو من أسرة متوسطة الحال من حي شعبي ، وإضافة إلى ذلك كله متشبث بدينه أي " متخلف " ! وكانت أمنيته الوحيدة عليها الالتزام بالحجاب .. لذلك رُفِضَ من الصغير قبل الكبير في أسرتها .

أما بالنسبة إليها فقد وجدته أفضل من تقدم لخطبتها ، وأول من عرف قيمتها حقاً ، لذلك سيصونها ولن يجعلها عرضةً لنظرات الغادي والرائح ، وهو قبل كل شيء أعجب بمزاياها وبجوهرها دون أن تعرض عليه كما عرضت على غيره كأمةٌ في سوق النخاسة ، مثل هذا الشعور جعلها تحجم عن قبول أي شاب الرغم من ضغوط والدتها وأخواتها عليها وقولهم : " إنك لن تتزوجي ما دمت على هذا الحال .. فلا الشاب " المودرن " يعجبك ، ولن يجرؤ الشاب المتخلف أن ينظر إلى ابنة أسرة متحضرة ، ولن يُرحَّب به من قِبل أحد .. "

لذلك فقد شعرت بالنصر حين تقدم إليها طالباً يدها معجباً برصانتها وحصافة عقلها وخُلُقِها ، وكمل إعجابه بحسن خِلْقتِها وكمالها .

فكانت تحاور أباها وأمها وتقول : ماذا فعل لنا الصهر الغني ؟ فها هو زوج أختي الكبرى يغرقها بالمال والحلي والمظاهر .. مقابل صمتها وقبولها اقترافه لأفظع الآثام ، وقضائه الليالي الحمراء ، ولقاء ظهورها معه في المحافل الرسمية ليقال عنه : إنه زوج ابنة الحسب والنسب ، ليرفع من مقامه في أعين الناس ! .

وتقول لأبيها : وليس زوج أختي الأصغر بأفضل منه ، فهو إضافة لجمعه المال بالاحتيال والخداع يكرهك ويحقد عليك ، لأنه لا يستطيع أن يوازيك بالمكانة والغنى والسمعة ، فيصب جام غضبه على أختي المسكينة بالضرب والشتم لها ولأسرتها ..

ولا يمكن لإحداهما طلب الطلاق لأن ذلك يعتبر سبةً في أسرتنا ، وهو عار لا ينسى إلى الحفيد العاشر كما تقول قوانين العائلة المجيدة . لا أريد رجلاً غنياً يا أبي الحبيب وأمي الحبيبة ! وهو على أية حال ليس فقيراً ، فهو يعمل في متجر لبيع التحف الشرقية ، وكما نعلم فهذه التجارة رائجة في هذه الأيام ، وهو ما يزال في أول شبابه والمستقبل أمامه ..

مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٤ ميلادي

عنوان المقال : المحنة ألقت أثقالاً	الكاتب : أم عدنان

عاد الطفل إلى بكائه وندائه لأبيه ، فضمته إلى صدرها محاولةً تهدئته والتخفيف من آلامه .

- إهدأ يا حبيبي ، سيأتي أبوك إن شاء الله ولن يغيب طويلاً .. يا إلهي يا شافي يا معافي ، أنت الحسيب وأنت الكافي ، ألهمني فعل الصواب ..

هل أذهب إلى أهل زوجي ؟ فإذا بصوت أم زوجها وحموها يرن في أذنها : ماذا فعلت بالصغير ؟ إنك قدم شؤم على ابننا منذ خطبك ، فيومها كان وقوع أبيه في المرض ، وخرجت أمه من بيت أهلك منكسرة حزينة بسبب نظراتهم المتكبرة وتعليقاتهم الجارحة على طريقة أحاديثنا وسلوكنا

تذكرت هذا الموال الذي لا يُمَلُّ من كثرة التغني به على مسامعها انتقاماً منها ، فيحصون عليها كل هفوة ويتهمونها بالاستهتار والتسيب لمجرد أية إصابة يصاب بها أحد الأولاد ..

تذكرت اليوم الحزين الذي تضاعف فيه هلعها وحزنها حين دخل الجلادون بيتها ، وساقوا زوجها بالضرب والركل ، وبما جادت به ألسنتهم من الشتائم ، دون أن تفهم سبباً لذلك ..!!

حينها أخذ أهله يولولون عليها ويحمّلونها تبعة ما حصل لابنهم .. تذكرت كم عانت بعدها وجاهدت لمعرفة سبب اعتقال زوجها ، متحملة إيذاء أمه المسكينة الملتاعة ، ولوم أبيها الذي رجته أن يستعمل نفوذه لإنقاذ زوجها ..

بل لم تعبأ برهبة الدخول إلى إدارات السجون لتسمع إجابات متضاربة بين عقد صفقات غير قانونية أو متاجرة بالعملة الصعبة .. وفي يوم كانت في أحد المراكز لا تنسه أبداً حين تقدم منها ضابط أثقلت كتفيه النجوم والنسور ، وقال بلهجة جاهد أن تكون أبوية ناصحة :

- يا بنتي ، أنصحك ألا تأتي إلى هنا ، إنه لا يستحقك ولا يستحق لهفتك عليه ، فعودي إلى أهلك واطلبي الطلاق وسنساعدك .

وحين رجته أن يعلمها بالتهمة ؛ أجابها بالحرف : إنه عدو لله ولك وللشعب والبلاد .. في عنقه ألف تهمة : تجارة العملة الصعبة ، تهريب آثار وطنية للخارج ، تآمر على قلب النظام وانتماؤه إلى منظمة سرية إرهابية من الرجعيين ، وتقاضي أموال من دول أجنبية .. إنه متآمر حقود ، يريد العودة بالبلاد إلى القرون الوسطى .

عنوان المقال : المحنة ألقت أثقالاً	الكاتب : أم عدنان

آه يا إلهي!.. ليتهم بقوا على التهم الأولى مع أنها كافية لتغييبه وراء الشمس في مكانٍ من يدخله يجد التهم توزع على الناس دون حساب .

لم تهدأ يوماً بحثاً عنه ، إلى أن جاء يوم عاد فيه فجأة ، دخل بيته يسنده مجند ، همس في أذنها : " إن زوجك مثال الطهر والشرف ، وليس لمثله أن يقع بمثل هذه التهم التي لفقت له فقط بسبب ميله للتدين والاستقامة ، والحمد لله خرج بريئاً ، ولكن انتبهوا واحذروا فليس لهم أمان .. "

ليلتها لم تذق للنوم طعماً وهي تحاول التخفيف عنه ، فلم تره ضعيفاً يوماً من الأيام ، كان حزيناً يبكي بحرقة على سنين أمضاها متقاعساً عن الدعوة ، ومع ذلك كاد يقضي رخيصاً بدون ثمن ، ولو كان داعية حقاً لما حزن ، لأنه يعتبر ذلك من قبل التضحية في سبيل الله ، أما هو فمقصر لدرجة أنه لم يكن يذهب إلى المسجد إلا في صلاة الجمعة ليبعد عن نفسه شبهة الانتماء لأي جماعة .

عاد إليها حاملاً أمراضاً وإصابات كثيرة تحتاج لعناية كبيرة ؛ كسورٌ في الأضلاع ، قصور في السمع ، ضعف في البصر ، واضطراب في دقات القلب ، وأشياء أخرى متعددة !!

لم تكن مفاجأة حين علم أن صاحب المتجر ، الذي كثيراً ما اختلف معه قبل اعتقاله قد فصله من عمله ، وخاصة عندما رفض مشاركته في تجارة تبديل العملة الصعبة ، ليلحظ بعدها جفاءً مفاجئاً ، وعدم إطلاعه على كثير من الصفقات .

لم يكترث بهذا الفصل التعسُّفي فالله وحده يأتي بالرزق ، فبدأ بأعمال مختلفة تسد حاجات أسرته اليومية ، وكان منها قيامه ببعض الدروس الخصوصية لشبان باللغات الأجنبية التي يتقنها . تجاوزت علاقته معهم التدريس إلى الخروج في رحلات ترفيهية هادفة غايته منها إبعادهم عن اللقاءات الشبابية التافهة ، وتذكيرهم بأهمية السلوك الإسلامي في حياة الشباب ..

كانت مؤمنة رغم ضيق العيش ، صابرة محتسبة ، وفرحة برجوعه إليها ، وكان بين الحين والآخر يتصل به صديق له يسأل عنه وعن صحته ، علمت بعد ذلك منه أنه ذات الجندي الذي أوصله إلى بيته يوم خروجه من السجن ، وأنه كان أحد السجانين العتاة فهداه الله على يديه فعاد إلى إنسانيته .

ولكن الحال لم يدم طويلاً ، ففي حملة اعتقالات جديدة عادوا وكأنهم لم يصبروا على فراقه ، وعلمت من الجندي التائب أنه متهم بالتآمر على أمن الدولة باجتماعه مع الشبان !

مجلة الرائد

العدد : ٢٢٧ الموافق في محرم ١٤٢٢ هجري ٤/٢٠٠١ ميلادي

عنوان المقال : المحنة ألقت أثقالاً	الكاتب : أم عدنان

تجاوزت الساعة الخامسة ، فقامت إلى صلاة الفجر ضارعة إلى ربها بالدعاء ..

فجأة قُرع الباب ، ودخل رجال يحملون الزوج فاقداً وعيه ، فقالوا لها : لا تقلقي إنه نائم ، ألقوه في سريره ثم اختفوا وهو في غيبوبته .. مضت ساعات قبل أن يستطيع الطبيب إعادة وعيه ، إلى أن بدأ يفتح عينين واهنتين وينقلهما بين رفيقة دربه وأولاده بابتسامة وديعة ، وافتر ثغره عن كلمات قصيرة بصوت واهن :

- إن ديننا عظيم يا مؤمنةُ وقوي ، ولكنهم لا يريدون له ولا لأهله الظهور والبقاء ، حتى وإن كانوا مثلي لا يبذلون ولا يضحون ، ولا عذر لنا أمام الله لو أصيب ديننا وفينا عرق ينبض ..

لم يمض النهار إلا وقد أسلم روحه إلى بارئها ؛ شاهدةً على ظلم الإنسان ، وتسلط القوي على الضعيف . وكأن الطغيان لا يروق له العيش مع كل من قال ربي الله ثم استقام ، حتى وإن أقفل على نفسه الأبواب طلباً للأمان ..

وشاهدةً على صبر امرأة متوسطة العلم الشرعي ، ولكن الله حباها قلباً غضاً ندياً وعقلاً كبيراً ، أدارت ظهرها للحياة بين أفراد تحولوا إلى آلات حاسبة .. فقيمة الإنسان عندهم بما يملك . لقد تخلت عن المال والجاه في سبيل إرضاء الله سبحانه ، ولم تتزحزح عن عقيدتها رغم أصناف الضغوط من حولها ، ودون أن تقبل مساعدة من قريب أو بعيد يكون ثمنها شيئاً من كبريائها وعزتها في دينها ، كان الله في عونها .. { **وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** } [البروج : ٨] . { **أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ** } [العنكبوت : ٢]